عبد الدايم الشاذلي

بصمات منقوشة بالحنين

"مندورين يا ولاد بلدنا للبكا/ والحزن وسيوف القدر/ وع كل فجر بيتقطف منا قمر/ غنينا طول العمر للناس والوطن/ وزرعنا أحلامنا شجر، / وبدال ما نحصد زرعنا/ بيعدى قطر الموت، / ويحصدنا السفر، ! !"

هكذا أنشد (عبد الدايم الشاذلي) شعرا حقيقيا مقترنا بالحزن والألم ولوعة الفراق، فقد كان لا يمر عدة سنوات إلا ويرحل عن دنيانا أحد أبناء كفر الشيخ من الشعراء أو الفنانين، لذا قال: "مندورين يا ولاد بلدنا للبكا/ والحزن وسيوف القدر"، نعم مندورين بالفعل، فقد رحل قبله من أبناء المحافظة الأفذاذ: صالح الشرنوبى والناقد أنور المعداوى والشاعر عبد الصبور منير والشاعرة روحية القلينى والفنان التشكيلى عبد المنعم مطاوع والشاعر على قنديل، ويلحق بهم كل من الشاعرين: إبراهيم غراب، وفاروق الأفندي، ليتركونا نعتصر لوعة ومرارة الفراق.

توأم روحه

يوم مات على قنديل – توءم روحه – صدم عبد الدايم صدمة هائلة أوقفته بقية حياته عن الإبداع الشعري، فقد أحس أن معينه نضب، على الرغم من أنه كان فى بداية عطائه الإبداعي، فقد تخلخل وجدانه وأصابه العطب، واهتزت ثوابته وكأنه أصبح وحيدا يتيما بعد على قنديل، ويروى صديقه الفنان التشكيلى عبد الوهاب عبد المحسن عن هذه الفترة قائلا: صدمة موت على قنديل خلخلت بنيانه كشاعر، ومن بعدها أصابه لا مبالاة فى كل الأمور جعلته لا يتشبث بأى شئ، فتعامل مع المستقبل كأنما أودعه قبر على قنديل، وتعامل مع مرض السكر كأنه يعيش بجسد عاهرة ليست حتى من معارفه، وتعامل مع روحه الشاعرة وكأنها مارد فانوس علاء الدين السحرى الذى فقد تعويذة استحضاره ترك نفسه من يومها هكذا، فعلا هكذا وانشغل بالأولاد وحزنه الذى حمله معه من يومها إلى لحظة الرحيل.

"وعلى كل فجر بينقطف منا قمر" كان يشعر عبد الدايم بحس الشاعر المتصوف بدنو أجله موقنا أنه لن يعمر طويلا، فكان يعيش اللحظة بحلوها ومرها، لم يعمل حسابا للمستقبل، ولم يخلف لبناته الثلاث – فلذات كبده – شيئا سوى مكتبة، وديوانان من الشعر، أولهما صدر فى حياته عن سلسلة أصوات، بعنوان "بصمات منقوشة بالحنين على

جدار الزمن" والثانى صدر بعد وفاته بعام تقريبا عن نفس السلسلة بعنوان "الصفحة الثانية من كتاب العشق" وكذلك أربع مسرحيات "عاشق الموال" و"حلم الولد نجم" و"الأولة مصر" و"خدوا فالكو من عيالكو".

ولد عبد الدايم سعد الشاذلى فى ١٩٥٢/٣/٢٣، بمدينة كفر الشيخ، وأخر شهادة حصل عليها دبلوم التجارة فوق المتوسط، واكتشفه الشاعر الكبير محمد عفيفى مطر، ونشر له أول قصائده بمجلة "سنابل" التى كان يرأس تحريرها أيام وجوده فى كفر الشيخ مدرسا للفلسفة بأحد مدارسها، وشجع عبد الدايم لأنه كان يرى فيه مشروع شاعر كبير، على حد قول الشاعر على عفيفي: "ذات يوم فى كفر الشيخ أعلن عفيفى مطر فى مهرجان على قنديل أن عبد الدايم الشاذلي، وأحمد سماحة، وتاج الدين محمد تاج الدين، يمثلون ثلاثة رؤوس حربة لشعر العامية المصرية. كان عبد الدايم الشاذلى أحد مؤسسى جماعة حوريس الأدبية مع محمد محمد الشهاوي، وعاطف بشاي، وعبد المنعم مطاوع، فى هذه الفترة كون الشهاوى أول نادى أدب بقصر ثقافة كفر الشيخ ليكون عبد الدايم أحد مؤسسيه.

التفرغ للإبداع

وبعد ذلك توطدت علاقته بشعراء وفنانى كفر الشيخ، ونشر أشعاره فى كبريات المجلات والصفحات الأدبية

المتخصصة، وتعرف على معظم شعراء وأدباء مصر كلها من أقصاها إلى أقصاها من خلال الأمسيات الشعرية، والمؤتمرات الأدبية التى كان يدعى إليها مشاركا فيها بأشعاره، أو من خلال كونه أحد أعضاء أمانة مؤتمر أدباء مصر فى الأقاليم لعدة دورات، فى تلك الفترة انتقل عبد الدايم إلى القاهرة متفرغا للإبداع الشعرى والمسرحي، وكتب أشعار وأغانى كثير من المسرحيات بكثير من المواقع الثقافية على مستوى الجمهورية، وجميع مواقع الثقافة بكفر الشيخ، وكتب العديد من الدراسات التشكيلية عن أصدقائه عبد المنعم مطاوع، بكرى محمد بكرى، عبد الوهاب عبد المحسن، السيد عبده سليم، وقدم له التليفزيون بعض السهرات الدرامية، وخلال رحلة البحث عن تحقيق الذات، ولقمة العيش فى القاهرة، اضطر عبد الدايم أن يعمل فى ورشة لكتابة السيناريو، وكتب خلالها عشرات السيناريوهات لأفلام ومسلسلات فى مقابل مبالغ هزيلة كان -رحمه الله- فى أشد الحاجة إليها، ولم تشأ الأقدار إلا أن يكتب أسمه فقط على سيناريو فيلم "اللى رقصوا على السلم" بطولة أحمد بدير وعايدة رياض، كما كتب فوازير رمضان لإذاعة وسط الدلتا لأكثر من عام، وله دراسة مهمة لم تنشر عن الأغنية المصرية، وحاز العديد من الجوائز وكثير من شهادات التقدير، أحد المكرمين فى العيد الأول للفن والثقافة وأحد المكرمين أيضا بمؤتمر أدباء مصر فى الأقاليم عام ١٩٩٥.

لقاء المصادفة

التقيت بعبد الدايم لأول مرة فى أحد مهرجانات صالح الشرنوبى ببلطيم فى أوائل السبعينات وتوطدت علاقتى به من خلال الأمسيات الشعرية التى كنت أشارك فيها معه فى كفر الشيخ ومدنها المختلفة، واحتضننى وشجعنى بمحبة كبيرة، وكنت أرى فيه قامة شعرية سامقة، لم ينل حظه بعد، كان مبتسم الوجه دائما، محبا للجميع، وبعدها تعددت لقاءاتى به بعد انتقالى للعمل بإدارة الثقافة العامة بهيئة قصور الثقافة بالقاهرة، من خلال المؤتمرات والمهرجانات التى كانت تقام هنا وهناك.

وقبل وفاة عبد الدايم بشهرين تقريبا التقيت به مصادفة أمام مقهى زهرة البستان، ومعى إبراهيم منصور، واصطحبنا لنتمشى معه على الكورنيش فى اتجاه الدقي، إلى أن جلسنا على أحدى المقاهى بها، فى ذاك اليوم باح لنا عبد الدايم بأسرار خطيرة فى حياته، وأتذكر أنه أقسم لنا أنه كتب أكبر أفلام كبار النجوم، بأسماء غيره فى مقابل الحصول على حفنة من الجنيهات لتأمين مستقبل بناته، كتبها ليحصد غيره الأموال الكثيرة والشهرة الواسعة، وأكد لنا أنه حينما كان يرى أحد هذه الأفلام ويقرأ عليه اسم غيره على الشاشة، كان يشعر بخيبة الأمل، وأن قلبه يكاد أن ينخلع من مكانه، لدرجة أنه

أصيب بالضغط والسكر من جراء هذه الصدمات المتتالية.

مرض الموت

بعد هذا اللقاء بشهر اشتد المرض بعبد الدايم كان مرض الموت المتمثل فى الفشل الكلوى وضغط الدم والسكر لتكون هذه الأمراض سببا للوفاة، وعندما ذهبت لزيارته أثناء مرضه بصحبة الشاعر محمد الشهاوى لم أستطع الصمود أكثر من عشر دقائق، وفررت هاربا من فرط ما رأيت، فقد رأيت شبحا يحمل ملامح عبد الدايم، تجمدت البسمة على شفتيه، وبرزت العينان، وارتسم الموت على وجهه، ولم أوقن حتى الآن إذا كان عبد الدايم قد شعر بوجودى أم لا، وبعد زيارتى له بيومين تلقيت نبأ رحيله، وقتها شعرت أن عبد الدايم كان يفضى إلينا بهذه الأسرار لنكون شاهدين عليها، وليستريح من عناء حملها فى صدره طول هذه السنوات، لنبوح بها فى الوقت المناسب، رحم الله الشاعر الإنسان عبد الدايم الشاذلي، الذى قال: "بحلم بالأيد اللى تسلم/ والكلمة الجد اللى تعلم/ والأرض الخضرة بتتكلم/ والقمرة تنور ما تضلم/ بحلم بالحب/ وبالإنسان"

★ نشرت فى جريدة القاهرة فى ١٢ يناير ٢٠١٠